ان الرومانتيكيين ينشئون نماذج يكشفون من خلالها عن جوانب الواقع المهمة . ولكنهم يميلون في تعميماتهم الفنية الى الرمز ويبتعدون عمدا عن التحديد الحياتي المعاشي في رسم الشخوص ولا يقدمونها من خلال الظروف المعاشية المتنوعة المحددة بوضوح .

لقد أظهر (هيجو) بصورة مقنعة كيف يتحول العامل الشريف الى سجين محكوم بالاشغال الشاقة ، الى مجرم منبوذ . ولكن مصير جان فالجان لايمكن ان ينحصر في ذلك فقط . فجان فالجان يحقق نموا روحيا كبيرا وتطهرا اخلاقيا داخليا عظيما . ان مجمل الظروف الموضوعية في المجتمع البرجوازي جعل من جان فالجان مجرما مطاردا منبوذا . وقد أظهر هيجو ذلك باعتباره ظاهرة حتمية معللة تاريخيا . ولكن القارىء يرى جان فالجان آخر مثاليا يتغلب بقوة روحه على الشر والجريمة الكامنين في نفسه . ان تحول جان فالجان وبعثه الجديد يظهران كانتصار للقانون الأزلي الذي يؤكد انتصار الخير على الشر وهيجو من خلال تصويره لجان فالجان الجديد يطلق ذلك القانون اطلاقا تاما ويجرده .

ويرى هيجو في كتابه « ويليام شكسبير » ان « الاعمال العظيمة ذات مستوى واحد بالنسبة الى الجميع — انها المطلق » .

ان الموازنة بين نموذجين من الأدب العالمي ، بين جان فالجان وفوترين تساعدنا على توضيح الاختلاف الجذري الموجود بين طريقتي « النمذجة » الواقعية والرومانتيكية . ان صورة فوترين المحكوم بالاعدام ليست خالية من الرومانتيكية فهي تدهش القارىء بقوتها وعظمتها وتبدو شيئا غير عادي . ولكن شخصيته فوترين ليست مجردة وليست فوق التحديد التاريخي بل هي شخصية تنمو في الواقع المحدد تاريخيا بشكل مقنع . ونحن لانجد عند بلزاك أي حديث عن تحول روحي يشبه المعجزة يطرأ على فوترين .

ان « آخر تجسد لفوترين » (تجسد) معلل اجتماعيا لايناقض منطق الواقع الاجتماعي هكذا يصبح فوترين خادم القانون بشكل طبيعي مثلما كان خارجا عليه ، لأن المرء لايجد من وجهة نظر الكاتب اي فارق مبدئي بين الشرعية والخروج عليها في المجتمع البرجوازي . ولذا لايضع الكاتب فوترين في أية مرحلة من مراحل حياته فوق الواقع الموضوعي . وجميع « تحولاته » تنتج حتميا من ظروف المجتمع البرجوازي نفسه الذي كان فوترين شخصية نموذجية من شخصياته .